STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY

PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179

The storytelling manifestations in the novel "Shamous Al Ghajar

The time and place of the novel Case Study

Bassam Dawood Salman Al-Zubaidi bassamd.alzubaidi@uokufa.edu.iq
Assistant Professor in the Department of Arabic Language and Literature at the University of Kufa, Iraq.

Abstract

The novel constitutes an essential and prominent genre of literature ،because of its effect in employing the emotions of individuals and the variables of the movement of society ، and representing them in the finest forms of the imagination ،and providing solutions to the problems of lived reality ،and making it one of the urgent goals as an intended goal in order to coincide with the general social good. Time and space among the fictional elements; The two themselves are inseparable. They interact and exchange influence and influence; It cannot do without these two elements; They are the backbone of narrative work. In this research ،we try to study the two elements of space and time in the narration of the Gypsy Suns ،and we try to study their relationship together. We adopted the narrative structural approach in analyzing the aforementioned novel. And we concluded that Haidar Haidar created a space for scattered events ،as if the reader had to rearrange these events. Haidar Haidar invested these events that resemble a circle that are repeated to show the reader the situation of the Arab world at the end of the last century to infuse the vocabulary of that era with extremism ،isolation and family disintegration to deal with these events and their impact. Continuous with progress in time. This presentation of facts in Arab society presented by Haydar Haydar we see it as a realistic presentation without falsehood by breaking the stereotypes of many literary works that contradict reality and jump to the truth. We see in the predominance of retrieval in the novel to escape from the present time ،as the novel has had a plentiful share of the techniques of the frequency of the narration ،whether in terms of speed or slow ،the description is a temporal mechanism that works to slow and stop time ،and this creates a time space in which events stop. Based on an understanding of the general framework of events ،in it the scenes ،paragraphs ،and dialogues of the novel converge ، whether it is fact or fiction ،because when literary work loses locality ،it loses its specificity and thus its originality. And leave the character the freedom to show different feelings towards him. The Gypsy Suns novel is considered a chronological novel since its inception with an ascending temporal event. Haydar Haydar relied on the technique of contradictory dualities ،which the international writer Samuel Cried was famous for ، objectivity and subjectivity ،past and present ،optimism and pessimism ،simplification and complexity ،tolerance and hatred ،coincidence and necessity ،love and killing ،life Death ،contradictions portrayed by the writer through the main character in the novel and through the effect of the rest of the characters who were influential in the course of events ،even if we got to know them in a few lines.

Keywords: time, place, temporality, storytelling, the novel of the Gypsies, Arabic narratology.

Citation: Al-Zubaidi, B. Spring & Summer (2020). The storytelling manifestations in the novel "Shamous Al Ghajar", The time and place of the novel Case Study. Studies in Arabic Narratology, 1(2), 191-219. (In Arabic)

Studies in Arabic Narratology, Spring & Summer (2020), Vol. 1, No.2, pp. 191-219
Received: July 6, 2020; Accepted: September 6, 2020
©Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.

دراسات في السردانية العربية
الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٧٧٤٠-٢٦٧٦
الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٠١٧٩-٢٧١٧

تمظهرات السرد القصصي في رواية شموس الغجر؛ الزمكانية اختيارا

بسام داود سلمان الزبيدي البريد الإلكتروني: bassamd.alzubaidi@uokufa.edu.iq
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الكوفة، العراق.

الإحالة: الزبيدي، بسّام داود سلمان. ربيع وصيف (٢٠٢٠). تمظهرات السرد القصصي في رواية شموس الغجر؛ الزمكانية اختيارا. دراسات في السردانية العربية، ١(٢)، ١٩١-٢١٩.

دراسات في السردانية العربية، ربيع وصيف ٢٠٢٠، السنة١، العدد٢، صص. ١٩١-٢١٩.

تاريخ الوصول: ٢٠٢٠/٧/٦ تاريخ القبول: ٢٠٢٠/٩/٦

© كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الخوارزمي والجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها.

الملخص

تشكل الرواية جنسا أدبيا بارزا من أجناس الأدب، لما لها من أثر في توظيف انفعالات الأفراد ومتغيرات حركة المجتمع، وتمثلها في أرقى صور المخيلة، وتقديم معالجات لإشكالات الواقع المعاش، وجعلها من الأهداف الملحة بصفتها غاية مقصودة حتى تتطابق مع الصالح الاجتماعي العام، تبحث هذه الدراسة عن الزمان والمكان من بين العناصر الروائية في رواية شموس الغجر لحيدر حيدر الكاتب والروائي السوري؛ وهما بالذات لا يمكن الفصل بينهما ؛ فهما يتفاعلان ويتبادلان التأثير والتأثر؛ فلا يمكن أن يستغنى عن هذين العنصرين؛ فهما بمثابة العمود الفقري في العمل السردي. في هذا البحث نحاول دراسة عنصري المكان والزمن في رواية شموس الغجر إضافة إلى دراسة

علاقتهما معا. فاعتمدنا على المنهج البنيوي السردي في تحليل الرواية المذكورة. واستنتجنا أن حيدر حيدر صنع حيزا للأحداث مبعثرا وكأن على القارئ أن يعيد ترتيب تلك الأحداث، استثمر حيدر حيدر هذه الأحداث التي تشبه الدائرة التي تتكرر ليبين للقارئ وضع العالم العربي في نهاية القرن الماضي لتنهال مفردات تلك الحقبة مع التطرّف والانغلاق والتفكك الأسري ليعالج هذه الأحداث وأثرها المستمر مع التقدم في الزمن.إن هذا التقديم للوقائع في المجتمع العربي الذي قدمه المؤلف، يعتبر تقديما واقعيا دون زيف من خلال كسر النمطية لكثير من الأعمال الأدبية التي تجافي الواقع وتقفز على الحقيقة. نرى في هذه الرواية غلبة الاسترجاع في الرواية للهروب من الزمن الحاضر، كما حظيت الرواية بنصيب وافر من تقنيات تواتر السرد سواء من حيث السرعة أو البطء، يعد الوصف آلية زمنية تعمل على إبطاء الزمن وإيقافه في هذه الرواية، وهذا ما يخلق فسحة زمنية تتوقف فيها الأحداث. والمكان في الرواية يصل بنا إلى فهم الإطار العام للأحداث، ففيه تتجمع مشاهد وفقرات وحوارات الرواية سواء كان ذلك حقيقة أم خيال، ذلك أن العمل الأدبي الروائي حين يفقد مكانه، فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته. وجدنا تعدد الأمكنة في رواية شموس الغجر واستنتجنا أن المؤلف عمد في بناء روايته على التنويع المكاني لغناء النص الروائي وترك للشخصيات حرية في إظهار مشاعرها المختلفة باتجاهاتها. تعد رواية شموس الغجر رواية زمنية منذ بدئها بحدث زمني صاعد. اعتمد حيدر حيدر على تقنية الثنائيات المتناقضة، التي اشتهر بها الكاتب العالمي صموئيل بكيت. صوّر الكاتب بعض التناقضات من خلال الشخصية الرئيسة من الرواية منها الموضوعية والذاتية، والماضي والحاضر، والتفاؤل والتشاؤم، والتبسيط والتعقيد، والتسامح والحقد، والصدفة والضرورة، والحب والقتل، والحياة والموت و إلخ.

الكلمات المفتاحية: الزمن، المكان، الزمكانية، السرد القصصي، رواية شموس الغجر، السردانية العربية.

المقدمة

تشكل الرواية جنسا أساسيا بارزا من أجناس الأدب، لما لها من أثر في توظيف انفعالات الأفراد ومتغيرات حركة المجتمع، وتمثلها في أرقى صور المخيلة، وتقديم معالجات لإشكالات الواقع المعاش، وجعلها من الأهداف الملحة بصفتها غاية مقصودة حتى تتطابق مع الصالح الاجتماعي العام .

ولقد استطاعت الرواية بفعل ما توفره من مرونة وقدرة على مواكبة مجريات الواقع وإن تثبت وجودها في الساحة العالمية، وهذا ما جعل الرواية تشكل ملمحا مستحدثا في الثقافة العربية، إذ أكدت جدارتها في النصف الثاني من القرن العشرين وقدرتها على التجذر في الوعي الثقافي العربي، لما استقطبته من اهتمام القراء في العالم العربي ؛ بل وهيمنتها على مساحة من القراءة في عمليات التلقي.

لا شك أن الرواية فن زماني مكاني، فالحديث عنهما يصبح بالضرورة حديثا عن الآخر ومنه جاء مصطلح الزمكانية(بن عمر : ٢٠١٥:١٩)، فالزمن لابد أن يأتي مناسبا ومتناغما مع طبيعة المكان، فالزمان والمكان هما مكونا الفضاء الذي تشكل فيه الوجود الإنساني، ولكل بيئة مكانية خصائصها الطبيعية والمناخية والجيولوجية كما لها ذاتيتها التاريخية، ذلك أن الرواية تحتاج نقطة انطلاق في الزمن ونقطة اندماج في المكان، يسند الأولى لتنظيم حركة الأحداث في الزمن، وللثانية تنظيم حركة الشخصيات في المكان.

أسئلة البحث ومنهجه

تحمل الدراسة جانبا نظريا وآخر تطبيقيا، تحاول الإجابة عن الإشكاليات التي تطرحها الدراسة والتي من أبرزها:

١- ما العلاقة بين الزمن والمكان؟

٢- وكيف تمظهرت البنية الزمكانية عبر رواية (شموس الغجر)؟

٣ -إلى أيّ مدى أسهم كل من الزمن والمكان كبنية سردية في تكوين معمارية العمل الروائي في (شموس الغجر) ؟

اعتمدنا على المنهج البنيوي السردي للإجابة عن هذه الإشكاليات، وقد جاءت الخطة التي تحدد معالم هذه الدراسة على النحو اللآتي، تكونت من مقدمة وتمهيد وسم بـ(تجليات العلاقة بين الزمن والمكان) ومبحثين وسم المبحث الأول بـ(تمظهرات الزمن في الرواية) والثاني بـ(تمظهرات المكان في الرواية) وخاتمة تناولت النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والله ولي التوفيق.

خلفية البحث:

فيما بحثنا عن خلفيات البحث في دراسات عن رواية شموس الغجر لحيدر حيدر، وجدنا بعض المقالات والبحوث نحو:

سحر ريسان حسين(٢٠٠٥) في مقالة تحت عنوان " الأنا والآخر في رواية (شموس الغجر) للروائي (حيدر حيدر) دراسة في المطابقة والاختلاف" يتناول قضية الأنا و الآخر في رواية شموس الغجر. وجمال شحيد(١٩٩٨) في مقالة تحت عنوان" التحول من العلمانية إلى التدين فى رواية شموس الغجر لحيدر حيدر" القضايا الدينية والعلمانية في هذه الرواية وتحولاتها. ثم بديعة الطاهري في مقالة تحت عنوان "فوضى الخطاب في رواية شموس الغجر لحيدر حيدر المنطق والدلالة تتناول التقنيات الجديدة في هذه الرواية مثل الكولاج و المفارقات الزمنية والميتا حكاية والخطاب بشكل موجز في هذه الرواية. ولكننا لم نجد بحثا في مجال دراسة عناصر الزمان والمكان في رواية شموس الغجر وعناصر الاستباق والاسترجاع وغيرها فيها.

التمهيد: (تجليات العلاقة بين الزمن والمكان)

ظهر مفهوم (كرونوتوب-الزمكانية) في دراسة باختين عن إشكال الزمان والمكان في الرواية في كتابه(جماليات الرواية ونظريتها) الذي صدر باللغة الفرنسية عن طبعة لميشال البان سنة ١٩٦٦م(بن عمر، ٢٠١٥: ١٨)، وقد ترجمت بعض فصول هذا الكتاب ونشرت بمجلة فصول من طرف الناقد المغربي (محمد برادة)، إن ما أورده باختين في هذا الكتاب كان وفيا لمنهج النقد الأدبي الماركسي الذي لا يفصل بين الزمان والمكان في العمل الأدبي، إذ يتجلى ذلك في ربط العمل الفني بمقولة : «العلاقة بين الفعل المدرك والواقع» (المصدر نفسه:١٩) ويضيف باختين رؤيته الذاتية التي استقاها من الأصول الفلسفية تعريفا وظيفيا لمصطلح (الزمكانية) وهو«سوف

تطلق تسمية الزمكانية على ما نستطيع أن نترجمه حرفيا زمان-مكان وهو الربط الأساسي بين العلاقات الزمكانية كما استوعبها الادب»(باختين، ١٩٨٧م:١٧٤).

ولقد بيّن باختين في دراسته لهذا المعطى (الزمان-المكان) أن«الفصل بينهما غير جائز في العمل الأدبي، وأوضح أن زمكانية العمل الأدبي ترتبط ارتباطا مباشرا بزمكانية العمل الخارجي المحيط بالعمل الأدبي» (رشيد،١٩٨٥ :٤٩)، فلا يمكن أن ننظر إلى العمل الأدبي دون النظر في الفضاء الخارجي الذي شهد ولادته، وقد استقاها من الرؤية الماركسية التي ترى أن الإبداع الإنساني نتاج لانعكاس الواقع في الفعل المدرك، وبالتالي سيكون الواقع حاضرا في الرواية إن تصريحا أو تلميحا .

يرى أيّان واط أن «الزمان هو القرين الضروري للمكان، وفي المنطق، إن الفرد حالة محددة تعرف بالإشارة إلى نظيرين الزمان والمكان» (واط،١٩٩٧م :٢٥) وفي علم النفس أشار كولردج فكرتنا عن الزمان مندمجة دوما مع فكرة المكان علاوة على أننا لا نفصل بين البعدين وذلك لمقاصد علمية،(المصدر نفسه:٢٥) كما يشير واط أن قيمة الزمان والمكان ودورهما في تعريف الهوية الشخصية في الرواية بقوله:« فقد اقرّ لوك إلى مبدأ الوجود الفردي وقصد به مبدأ الوجود في محلّ من المكان والزمان وكتب أن الأفكار تصبح مجردة بانفصالها عن ظروف الزمان والمكان وبالتالي لا تصبح محدودة إلا عندما تتعيّن هذه الظروف»،(المصدر نفسه :٢٥) .

أما الدراسات السردية الحديثة ترى أن الحديث عن الزمان يتبادر مباشرةً المكان، فهو أيضا مكوِّن أساسي للقصة، وكأن الثاني قد كمّل الأول، والأول لا يَستَغني عن الثاني،« فالمكان يُدرَك إدراكاً حِسّيَّاً، والزمان يدرك إدراكا غير مباشر من خلال فعله في الأشياء، فهما عنصران يتدخلان تدخلا مباشرا ومتكاملا، في شخصيات القصة وأحداثها»(مريم، ٢٠١٩ :٣٠). فالواحد منهما يكمل الآخر، فهما يتدخلان تدخلا مباشرا رغم اختلاف طريقة الإدراك عند كل منهما، هناك علاقة بين هذين العنصرين رغم تباين طريقتي الإدراك «انطلاقا من أن الأشياء الكاملة بفعل الزمن فيها هي نفسها المادة الخام التي تدخل في بناء المكان في الرواية، وهذا ما يجعل وصف الأمكنة والمشاهد الطبيعية وصفا للزمن، أي أن الزمن يمتد بعدا في المكان» (عاشور،٢٠١٠: ٣١)، فهما

يتداخلان أيضا في بناء الرواية ذلك أن وصف الأمكنة والمشاهد الطبيعية هو في نفس الوقت وصف للزمن .

إن عنصري الزمان والمكان من العناصر الروائية التي لا يمكن الفصل بينهما؛ فهما يتفاعلان ويتبادلان التأثير والتأثر؛ ولهذا فالكاتب مهما كان نوع عمله لا يمكنه أن يستغني عن هذين العنصرين؛ فهما بمثابة العمود الفقري في العمل السردي.

المبحث الأول: (تمظهرات الزمن في الرواية)

للزمن أهمية كبيرة في البناء الروائي، ثم المكان الذي تدور فيه الأحداث، وبعدهما تأتي الحبكةوالشخصيات بكل أبعادها وتفاصيلها، ومدى تفاعل هذه العناصر مع بعضها البعض، فالزمن من أكثر عناصر الفن الروائي شهرة، وأعلاّها قدرا ويرجع ذلك للعلاقة الوثيقة بين الزمن وحياةالإنسان في مختلف العصور والبلدان، إلا أن هذا العنصر المهم ليس له وجود مستقل نستطيع أن نستخرجه من النص، ونشير إليه مثل بقية العناصر كالشخصيات أو الأشياء التي تشغل المكان (قاسم،١٩٨٤م:٢٧) أو المظاهر الطبيعية، فالزمن ينتشر ويتغلغل في أجزاء الرواية كلها، فهو الهيكل الذي تبنى عليه الرواية، والزمن في رواية شموس الغجر متشعب هو يتناول نهاية القرن العشرين ولكن الزمن يعود لفترة الخمسينيات وينقلنا إلى فترات زمنية غير مؤطرة بنسق معين والجميل أن الراوي بلسان راويه يخبرنا عن الزمن القادم دورة زمنية تنتقل من الماضي إلى الحاضر والمستقبل وتعود من المستقبل إلى الماضي وهكذا لغز الحياة وسرها وأحجيتها هو الزمن. من أية نقطة بدأت الرواية أنت لا تعرف. في أي صفحة من صفحات الكتاب انتهت أو ابتدأت أو استمرت أنت لا تعرف. هي دورات للزمن متداخلات. يفنى معها الزمن بعضه في بعض فلا ماضٍ ولا مستقبل ولا قبل ولا بعد. إنّه تكور الزمن وتدوره وتدويره إلاّ أنّ أسرار الزمن لدى مؤلف الرواية بسيطة جداً ساحرة جداً. فمفردات الزمان صباح، ومساء،وظهر، وبعد، وقبل، وسين الاستقبال، وعندما، وحين، ويوم، وليلة، ومرة، وساعة، ودقيقة، ولحظة وغيرها. ويقسم الزمن الى ما ياتي:

أولا : طبيعة الزمن الروائي:

١- تمظهر الزمن النفسي في الرواية

تعتمد الرواية على الأحداث الداخلية التي تقع في أعماق الشخصيات الروائية، وهي الخبرات الإنسانية كما تحس وترى بها الشخصيات في ضوء الأحداث، فتعكس التحولات الزمنية على نفسيتها وموقفها، فيختلف الإحساس بالزمن من شخص لآخر، مع أن سرعة الزمن في جريانه ثابتة لا تتغير في الأوقات جميعها -وتحت الظروف كلها- فلم يولد الإحساس المتباين في الزمن ويتغير أثر الحالة النفسية للإنسان،«فالسعيد المحبور يشعر بأن الدقائق والساعات تمرّ بسرعة شديدة، وكم يتمنى أن يستطيع إيقاف الزمن، بينما الإنسان الحزين يشعر بأن الوقت يمرّ ببطء كأن الدقائق قد استغرقت أكثر من وقتها الطبيعي، وهذا ما يصطلح عليه الزمن النفسي أو الزمن السيكولوجي، فالوقت السيكولوجي يتغير كثيرا تبعا للظروف ويسير الزمن بخطى مختلفة تبعا لاختلاف الأشخاص» (المندلاوي،١٩٩٧م:١٣٨)، وبذلك يكون الإنسان في فرحه وحزنه وفي صحته ومرضه وفي حريته وسجنه، وفي كل المتقابلات والمتباينات التي يمرّ بها في هذه الحياة على مرّ الزمان مابين مدّ وجزر، قد يهرب الإنسان من الواقع واللحظة الراهنة إلى ذكريات الماضي ويرجع لأيام السعادة والفرح ويحلو له تسمية ما مضى من زمن بالزمن الجميل، وهو بذلك يعبر عن إحساسه بالزمن، وقد يكون الأمر على غير ذلك حين يتقدم بخياله للأمام من خلال الاستباق الزمني لو نظرنا إلى رواية شموس الغجر لوجدنا فيها الزمن النفسي منتشرا انتشار واسعا منها «كانت أمي تقول قبل الترحيل والهجرة أنت لست ابن هذا الزمان ابن إي زمن إذن أنا ولماذا ولدتني في وقت ليس وقتي وماذا سأفعل بحياتي المجانية والعبثية» (حيدر، ١٩٠٠م :٦٥). هذه المعاناة النفسية لـ(ماجد) وحكم (أمه) عليه بأنه ولد في زمن لا ينتمي له، فيصف موقفه من الزمن بتساؤل (ابن إي زمن إذن أنا) وهنا حيث لعب الزمن النفسي دورا باستنباط العالم الداخلي في شخصية (ماجد) ومثلها «في تلك الليلة رأيت حلما غريبا رأيت ممحاتي الجميلة التي قدّمت لي هدية في عيد ميلادي الرابع عشر والشريعة بنجمة مضيئة وهي مكسورة بعد أن فقدت أشعتها ابكي صارخة في نومي لماذا كسرتم ممحاتي تتقدم بيسان من أفق رمادي كأنما تخرج من سحابة أصيل معتم وهي ترتدي ثوب نوم ابيض هذه ممحاتك تقدم لي زهرة ياسمين تشبه الممحاة أقول لها لا هذه زهرة وليست ممحاة تتلاشى بيسان وزهرتها طي غيمة انهض مذعورة من نومي بعد يومين من هذا الحلم اللا معقول أفقد اشعتي ونور عقلي»(حيدر،

١٩٠٠م :٧٥). لقد عبّر(ماجد) عن الانفعالات الشخصية المتباينة لشخصية (راوية) جراء التحول الذي طرأ على الأسرة وجو البيت وكان الاستياء واضحا من خلال فقدان الممحاة في الحلم التي ترمز إلى الزمن الماضي.

٢ - تمظهر الزمن الطبيعي في الرواية

إن الزمن الطبيعي لابد من وجوده في كل رواية، وهو الزمن الذي تدور فيه الأحداث، ويعبر به الروائي عن اتجاه سير الزمن في الرواية نحو الأمام، وللروائي حرية اختيار الزمن الذي تبدأ منه الرواية، ومدى سير الزمن وما بينهما (فإن الزمن الطبيعي يسير مساره المعتاد دون توقف أو انقطاع، مستشرفا المستقبل، وغير قابل للعودة إلى الوراء في خط مستقيم تكونه النقاط المتعاقبة) (الحاج علي،٢٠٠٨م:٣١)، يولي الروائي أهمية للإطار الزمني الذي يؤطر به أحداث روايته،وهذا الإطار هو تقدم الزمن إلى الأمام، وتنامي الأحداث حتى تصل إلى نهايته، وبذلك يقدّم الروائي على المرونة والتحايل على الزمن للحيلولة دون تقدّمه السريع، وذلك بان يجعل الزمن النفسي يتخلله، وكل التقنيات الزمنية والسردية حتى يستكمل الفكرة وتستحكم الحبكة، ثم يسمح له بالتقدم إلى الأمام مرة أخرى، وهكذا لو لا ذلك لفقدنا الكثير من أشكال الرواية التي يكون زمنها الطبيعي قصيرا.

وللزمن الطبيعي خاصية موضوعية من الخواص الطبيعية، ولهذه الخاصية جانبان الزمن التاريخي والزمن الكوني في دراسة الزمن الطبيعي لرواية شموس الغجر بقوله :«هي ذي تطلق من كهوفها وغاباتها مموهة برايات الدين والعرق. حروب القبائل واجتياحات أمواج المغول والتتار تستعاد الآن في أواخر القرن العشرين » (حيدر، ١٩٠٠م :١٤٣).

هذا التاريخ هو الزمن الطبيعي للرواية حيث تدور أحداثها في نهاية القرن العشرين على حقبن طويلة نسبيا وتعود الأحداث في الرواية للماضي للخمسينات، حيث البيت الرئيس للأسرة، وبذكرياته ومواقفه. لكن الوقت الطبيعي لحياة الشخصية (راوية) هو هذا، احتاج (حيدر حيدر) في روايته إلى وقت ممتد طويل نسبيا ليشرح التحولات التي طرأت على الواقع والبيئة والشخصيات.

ثانيا :تمظهر الترتيب الزمني للأحداث

١- الاسترجاع

يواجه الروائي إشكالية توظيف الزمن السردي على مستوى تتابع الأحداث، فالرواية جنس أدبي إبداعي، لا تقنع بالتتابع المتسلسل ؛ لذلك يلجأ المؤلف إلى عرض الأحداث الروائية بطريقة يلغي فيها التسلسل والترتيب.

فالروائي لا يكتب عن الزمن الآني (الحاضر) وينطلق منه إلى الأمام فقط، وإنما يحاول أن ينتقل بالأحداث إلى أزمنة مختلفة، «فنجده في بعض الأحيان يتقهقر بالأحداث فيوغل في التأمل إلى الماضي، أو قد يمرّ الماضي على خاطره مرورا سريعا كومضة برق، وفي أحيان أخرى ينقل الحدث إلى المستقبل، ويتفاعل مع تفاصيله وكأن الروائي يمتلك آلة الزمن التي نقرأ عنها في كتب الخيال التي تمكّنه من السفر والانتقال عبر الأزمنة المختلفة»(برنس، ٢٠٠٣: ١٥)وفي«كلتا الحالتين نكون إزاء مفارقة زمنية توقف استرسال القص المتنامي وتفسح المجال أمام نوع من الذهاب والإياب على محور السرد انطلاقا من النقطة التي وصلت إليها القصة»(جنداري، ٢٠٠١: ١٠٣).

«رضوان عبد الله أستاذ التاريخ والفلسفة الإسلامية خريج جامعة الأزهر، الدكتور المعروف في كلية الآداب بعدائه لليسار وحرية المرأة، والثقافة الغربية والمستشرقين الذين شوهوا تاريخ الإسلام ....في داخلي عزوف عن أي حوار حول المسالة مع رجل أمضى سنوات عمره في البحث والاستقراء والأسئلة والمراجع والبحوث والتيه العقلي واللاعقلي وأخيرا استقر في واحة قناعاته الأخيرة شبه الأبدية» (حيدر، ١٩٠٠م :٩٤و٩٦).

عبرّ الكاتب من خلال الذاكرة الفردية للشخصيتين (رضوان عبد الله) و(راوية) عن طبيعة الإشكالية التي تحكم العلاقة ما بين الماضي والحاضر (رضوان) وهو الأستاذ الجامعي بسنواته التي قضاها بعلوم الدين والأزهر و(راوية) وهي الطالبة الشابة المتحررة . ومن هنا انطلق الكاتب في المعالجة السردية متكأ على آلية القص والاسترجاع والتحرك على مساحة زمنية طويلة ليبين الاختلاف في النشأة والمعتقدات والأفكار.

٢ - الاستباق

يعد «الاستباق تقنية معادلة لتقنية الاسترجاع، وهما يعملان معا على تكسير الزمن الرتيب؛ لمنحه الحيوية والتجديد، وهو أحد المفارقات الزمنية الذي يتجه بها الكاتب صوب المستقبل

انطلاقا من لحظة الحاضر، وهذا يتم من استدعاء حدث أو أكثر كي يقع بعد لحظة الحاضر أو اللحظة التي ينقطع عندها السرد التتابعي الزمني لسلسلة من الأحداث»(برنس، ٢٠٠٣: ١٥)، إنه حالة من حالات التنبؤ بالأحداث يقوم بها الراوي، أو تصدح في ذهن الشخصية على شكل حوار مع النفس أو في إثناء الحوار مع شخصية أخرى.

وهذه العملية تسمى في النقد التقليدي بسبق الأحداث، ومن ذلك نستنتج انه يمكن أن يكون الاستباق صادقا تؤكده أحداث الرواية القادمة، أو قد يكون محاذيا لا يتحقق في قابل الأحداث، ويكون الغرض منه خداع المتلقي والتلاعب به، لغرض التشويق والإثارة:

«ما كان ينقصنا، كما عبرت بيسان بروحها الفكهة سوى الأصفاد، وكما قلت مضيفة وأحزمة عفة مقفلة أثناء الخروج من البيت» (حيدر، ١٩٠٠م :٦٧)

إن التوقع للحدث القادم هو أن يقيّد (بدر الدين) بنتيه بالأصفاد وأحزمة العفة عند الخروج من المنزل من خلال التمهيد لما فعله الأب من مصادرة لحرية الفتاتين، فقام هنا بوظيفة التوقع للأحداث القادمة.

ثالثا : تمظهر الزمن الروائي من حيث سرعته وبطؤه

١ . الخلاصة

ترتبط «الخلاصة بما مضى من أحداث أكثر من ارتباطها بالقادم منها، وذلك أننا لا نستطيع تلخيص الأحداث إلا عند حصولها بالفعل، أي أنها أصبحت قطعة من الماضي، ولكن يجوز افتراضيا أن نلخص حدثا حصل أوسيحصل في الحاضر أومستقبل القصة» (بحراوي،١٩٩٠م:١٤٦) وتعد الخلاصة «الجزء الذي ينهض بتلخيص الحكاية، وتحديد موضوعها، ويطلق عليها الملخص أو التلخيص أو المجمل أو الإيجاز، وهي تفي السرد في بضع فقرات أو بضع صفحات لعدة أيام أو شهور أو سنوات من الوجود دون تفاصيل أعمال أو أقوال» (جينيت،١٩٩٧م:١٠٩) وتتضمن سرد أحداث لوقائع جرت في مدة طويلة (سنوات، أشهر، أيام) واختزالها في بضعة اسطر، فهي آلية مهمة في تفعيل حركة السرد وزيادة سرعته. «أربعة شهور اعتقال لرجل كان في صلابة الصوان» (حيدر، ١٩٠٠م :٤٣) .

أشار الكاتب إلى الشهور الأربعة التي اعتقل بها (بدر الدين) في اسطر قليلة، حيث يخوض في حيثيات التغيير، بل تلخصت بأنها فاقت بالنتيجة جميع ما تقدّمها من محن وأزمات من خلال أثرها على البيت .

٢. الحذف والإضمار

وهي «تقنية من تقنيات السرد تتيح للروائي اختزال مدد زمنية طويلة أو قصيرة من زمن السرد، وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث» (بحراوي،١٩٩٠م:١٥٦) أي «المقطع المسقط في النص من زمن الحكاية»(المرزوقي،١٩٩٨م:٨٩) وزيادة على الوظيفة الأساسية لتقنية الحذف في تسريع الأحداث، فهي تمكن المؤلف من التخلص من السرد النمطي، والأحداث التقليدية المملة والانتقال من حدث مهم إلى آخر قافزا لحاجز الزمن.«يوم تخرجه من الكلية سأتذكر كيف احتفينا به . وكيف عانقه الوالد فخورا برجل الوطن وسند العائلة»(حيدر، ١٩٠٠م :١٠٤).

الحذف والإضمار في النص قد حدّده الكاتب وصرّح به بطول المدة التي تمثلت بالسنوات التي قضاها نذير في الكلية العسكرية واختزل الكاتب المدة الزمنية بوجود نذير في البيت وعدم التطرق لسنواته في الكلية وما حصل من وقائع وأحداث مفصلة.

٣ - المشهد

المشهد هو «لقطة مقربة للحدث، يرصد الكاتب بواسطته أدق التفاصيل الحياتية في تعاقبها الزمني، ووضع الحدث تحت المجهر، وتسليط الضوء على زواياها المظلمة، ويحتل المشهد موقعا متميزا ضمن الحركة الزمنية للرواية، وذلك بفضل وظيفته الدرامية في السرد، وقدرته على تكسير رتابة الحكي» (بحراوي،١٩٩٠م:١٦٦) .

وللمشهد نهايات فنية من خلال الإبطاء المبالغ فيه في السرد، والكشف عن الجوانب النفسية والاجتماعية للشخصية الروائية، وكذا الدعوة إلى وصف الحدث لحظة بلحظة، والتفصيل المتقن لأحداث محددة .

«بدر نبهان الرجل العصامي وهو يقتلع الصخور من الأرض، ويرميها بقوة جسده على التخوم. يعشب الاثلام من الحشائش الضارة، وينقل الأسمدة على كتفه.ثم يغرق في المياه والأوحال، وهو يزرع الفستق والباذنجان والفليفلة والذرة وبذور عباد الشمس، ويهيىء مساكب للخس

والبقدونس والنعناع والبصل الأخضر والهندباء والسلق، حتى لا تحتاج الأسرة إلى أرضها. هو ألان يسبح في خضم العرق والتعب»(حيدر، ١٩٠٠م :١١٤)

لجأ الكاتب إلى توسيع إطار المشهد، وإشراك عدد من التفاصيل، إذ اعتمد على الوصف المسهب للإحداث، والمشهد هنا يقوم بتبطئة وتعطيل السرد من خلال الوقفات الوصفية، وقد استهلك المشهد الوظيفة الدرامية التي يعمل بها على كسر رتابة السرد، من خلال قيامه بالعرض التفصيلي للأحداث، وهذا يجعل الأحداث كأنها تحدّث عن نفسها بكل التفاصيل الصغيرة التي ظلت عالقة في ذهن (راوية) وهي تتذكر والدها (بدر الدين) وعمله في الحقل .

٤- الوقفة

الوقفة هي أبطاء سرعة السرد وتتمثل بوجود خطاب لا يشغل أي جزء من زمن الحكاية» (زيتوني، ٢٠٠٢م :١٧٥) وبعض الوقفات تكون وقفات استطرادية، بل خارج القصة، ولها طابع التعليق والتأمل أكثر من طابع السرد (جينيت، ١٩٩٠ :٤٣،٤٢)، ونجد بعض الوقفات التي أخذت حيزا في الرواية، وقد تمتلك الحكاية قدرة فذة على التحايل على أدوات الوعي والتجاوز على قدرات الإدراك المسخرة لمراجعة الأفكار وغربلتها، لتصل إلى التأثير في المتلقي عبر التجربة المجسدة والمثال المطبق حكائيا، ذلك إن الحكاية تتيح مساحة للتعايش مع ما يرفض الإنسان من أفكار ومقولات بصيغها المجردة ؛ ويجعلها قابلة ولو جزئيا للمشاركة في تشكيل الوعي الإنساني.

«عبر السنوات التي مضت، بدت لي حياتي كأنها إيقاعات ترميم لأزمنة غبرت. يوم شاهدت الشجر السامق الذي غادرته صغيرا هناك في بلدتنا، بعد أن عبرت الحدود سرا انتبهت للزمن، لقد نمت الأشجار وطالت قلت لنفسي: لابد انك كبرت وأوغلت في الزمن يا سيد زهوان دون أن تنتبه الآن وأنا في المنفى والهجرة من جديد،اصطدم بك ذاكرا أيامنا السحرية ولقاءاتنا في الجامعة» (حيدر، ١٩٠٠م :٦٤).

هذه الوقفات الوصفية يكون الوصف أساسها لها، لكن لابد من الإشارة إلى أننا حين تناولنا الوصف في موضع سابق، تحدثنا بكونه أداة يتحدد بها المكان وترتسم صورته به، أما حديثنا الحالي عن الوصف فهو يتجه إلى التركيز على الوصف من ناحية كونه فعالية سردية زمنية أي

تشتغل داخل الزمن السردي وتتعدد موضوعاتها فقد تكون وصفا للأمكنة أو الشخصيات أو الأزمنة أو الأشياء، وإذا كان من الشائع أن الوصف يشكل توقفا زمنيا في السرد فان هذا التوقف تختلف أشكاله وغاياته، بل انه يخرج في كثير من الأحيان عن كونه توقفا زمنيا.

المبحث الثاني: تمظهرات المكان في رواية شموس الغجر

اقتصد الكاتب (حيدر حيدر) في رسم معالم المكان إلا فيما يعينه لإضاءة الحدث، وكشف نوازع الشخصيات من خلال اضطرابها في البيئة المكانية التي لابد أن تترك ظلالها على أساليب التفكير، وشكل العلاقات بين الناس، فهو بذلك استخدم الوقائع والشخصيات أساسا والمكان نتيجة، واستخدامه هذا يعتمد على أمرين، الأول "الوجود الحقيقي للشخصية " وهو في ذلك البيت الريفي في بلدة عيون الريم في بلاد الشام، أما الاستخدام الثاني هو الاستخدام الروائي أي انه وظف بعض الأماكن خارج هذا البيت من خلال الذكريات التي تسردها بطلة الرواية عن بيت العائلة الأكبر في (كفر حمام) وبهذا فثمة اتجاهين متعاكسين للمكان .

إن «المكان في الرواية عالم من صنع الروائي في مواقع تختلف عن تلك المواقع التي ينتمي إليها المتلقي، وقد يشبه العالم الخيالي العالم الواقعي أو يخالفه وذلك حسب رواية القاص له» (النصير،١٩٨٠م:٦٥) و«الأماكن في الرواية بشكل عام لا تبنى على أساس التخيل إذ لابد لها أن تكتسب ملامحها وأهميتها من الاقتراب من العالم الحقيقي وذلك للواقع والمكان الواقعي والذي من المفترض انه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ذلك لان المكان له أبعاده الاجتماعية التي تؤثر على بناء الرواية» (العاني،٢٠٠٠: ٥) فهو الذي يكسب الصراع الدرامي حدته، ويعجّل بانسياب الزمن ويزيده وضوحا .في رواية شموس الغجر نحدد التقسيم المكاني للرواية على الشكل الآتي: أولا: مكان حقيقي وهو على ثلاثة أوجه: مكان واقعي، ومكان افتراضي، ومكان مجهول، وثانيا: مكان زمني / تاريخي.

١ - المكان الحقيقي :

البيت الذي كانت تعيش به (راوية) ذكر الراوي البيت من خلال بطلة الرواية (راوية) والملاحظ أن ذكر البيت جاء بطريقة الإخبار أي لم يرتكز على حادثة معينة أو واقعة مهمة حصلت في البيت لنتعرف عليه ويكون وقع البيت أقوى في نفس القارئ «كنا نحيا في بيت واسع

محفوف بالحنان والدفء والعمل»(حيدر، ١٩٠٠م : ٨) من خلال كلام (راوية) عن نفسها وأسرتها ذكرت البيت بصورة أشبه بالعرضية.

«في البيت، بعد أن يعود من العمل في الأرض، يعكف على المطالعة والقراءة. لا أحد يعكر صفوه أوخلوته في غرفته الخاصة على سطح البيت»(حيدر، ١٩٠٠م :٢٧)

البيت هو احد الأمكنة المغلقة فهو المكان الأول الذي تبث فيه الشخصية ألمها وفرحها وحزنها وغضبها، فهو مكان الاحتماء والاستقرار، كما انه رمز الشخصية ووجودها في الرواية، حيث بدأ الراوي من خلال ما تقصّه البنت عن أبيها بذكر البيت، وكما يقول باشلار: «حين نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه؛ وبينما نحن في أعماق الاسترخاء القصوى ننخرط في ذلك الدفء الأصلي في تلك المادة لفردوسنا المادي.هذا هو المناخ الذي يعيش فيه الإنسان المحمي في داخله»(باشلار،١٩٨٤م :٦) .

«أنزوي وإخوتي في أرجاء البيت ونندمج في المطالعة. مع الزمن وفي أوقات اللّاعمل تحوّل البيت إلى ما يشبه قاعة قراءة»(حيدر، ١٩٠٠م :٢٧) ورد هنا تشبيه البيت بقاعة القراءة لتعطي انطباعا بأن الهدوء يسكن فيه، إضافة إلى دلالات أخرى منها مستوى سكان البيت وعلاقتهم بالكتاب، وبالتالي بالعلم والمعرفة.«سترميني في هذه الجزيرة الضائعة المنسية من العالم ....مذ ولدت قرب خيام الغجر»(حيدر، ١٩٠٠م :٢٨) .

يتحدث الراوي عن (راوية) وكيف ولدت في قرية عيون الريم قرب خيام الغجر والتذكير الدائم بأثر هذه الولادة والغجر عليها يؤدي إلى فهم تعدد الأماكن وعدم المركزية، فالبطلة أصبحت أشبه بالغجر الذين لا يربطهم بالمكان سوى مدى الاستفادة غالبا. فحالهم الانتقال من مكان إلى آخر وهذا الاستخدام الذكي من الراوي يفسر عدم المركزية هذه .

«كان على الشرفة المطلة على البحر ليلة اعتقاله. من هنا أخذوه وهو يشرب الكأس الأولى من المتي» (حيدر، ١٩٠٠م :٣١) يبدأ الراوي بوصف مقتضب لمعالم البيت عرضيا من خلال حادثة اعتقال (بدر الدين) وهو على شرفة المنزل المطلة على البحر ولعل قوله: (أخذوه وهو يشرب الكأس الأولى من المتي) يعبر عن حرفية الراوي من خلال إضفاء صفة حركية بسيطة لـ(بدر

الدين) فلم يكن الاعتقال وهو نائم مثلا ولا ننسى مكان الاعتقال، وما له من دلالات، حيث كان المكان الشرفة المطلة على البحر وهو مكان الاتصال مع الخارج والمحيط.

«والدي هبط من الشرفة بهدوء وقال: أنا بدر نبهان. صرخ بنا أن أدخلوا إلى غرف النوم ولا تصرخوا» (حيدر، ١٩٠٠م :٣٦) وهنا من خلال هذه الحادثة تذكر غرف المنزل، والغرفة في الرواية لم تكن كما في روايات كثيرة، إذ تعبرّ عن عالم الشخصية بكل ما للعالم من معنى لكنها في الرواية لم تكن سوى مجرد مكان يشبه بقية الأمكنة التي مرّت بها الشخصيات.

«في لياليا ونهاراتنا القديمة، روى لنا عن تجربته في حقول التفاح ومزارع الخواجه الياس في جرود متن لبنان .كان وحيدا في تلك الأصقاع داخل كوخ من صفيح.عانى الصقيع والثلج والمطر معزولا عن العالم» (حيدر، ١٩٠٠م :٢٨) هنا يتحدث الراوي عن (بدر الدين النبهان) وعمله في حقول جرود متن لبنان وهذا المكان حقيقي افتراضي، ثم ينتقل إلى ذكر كوخ الصفيح في تلك الأصقاع ويصف المعاناة من الثلج والمطر، وأنه كان معزولا عن العالم ليصور لنا مشهد الوحدة والمعاناة والعزلة والكوخ، وبهذه الوقائع يعبر الراوي عن ارتباط الأرض بالعائلة رغم التحولات الزمنية والمحطات المختلفة .

«بابا..إما كنت تحن إلى زمن الأب وكفر حمام ؟ أساله.. الجواب المرير ألاينسى: اغتيال الطفولة جرح لا يندمل. حليب أمي كان كفر حمام»(حيدر، ١٩٠٠م :٢٨) .

كما أسلفنا أن الراوي لم يجعل المكان مرتكزا بل تتعدد الأماكن تبعا للشخصيات، وهنا بعد وصف الكوخ كنتيجة لترك (بدر الدين) بيته في (كفر حمام)، يعبر الراوي عن العلاقة الأزلية للفرد بمكانه الأول، وكيف عبّر عن اضطراره لترك البيت في (كفر حمام) باغتيال الطفولة مع انه ترك بيته في سني شبابه، ثم يعبّر بشكل مختلف عندما يقول: (حليب أمي كان كفر حمام)

«فيما بعد روى لنا كيف غادر الجبل إلى بيروت، وعمل حارسا لمستودع كبير في شارع مار اليأس. قبو ارضي يشبه متاهة ؛ تراكمت على رفوفه آلاف الكتب»(حيدر، ١٩٠٠م :٢٩)

وهنا يصف انتقال (بدر الدين) للعمل في مستودع في شارع مار الياس في بيروت وأيضا هنا المستودع حقيقي افتراضي كون شارع مار الياس في بيروت مكان حقيقي واقعي .

والملاحظ أن الراوي ينتقل بين الأمكنة المختلفة من دون تمهيد وذلك حسب طبيعة الرواية المتمثلة بكلام(راوية) وما تقوله عن محطات حياتها، حيث نرى بيتها في الرواية بصورة ضبابية، ثم تنتقل بعد سطور قليلة إلى بيت أبيها وتتكلم عنه ومن ثم تتحدث عن الأماكن التي كانت تمثل محطات من حياة الأب، ثم إلى الجامعة وأخيرا إلى المخيم في قبرص.

« في بيتنا الجميل، المطوق بأشجار الصنوبر والليمون، قرب الحدود الفاصلة بين القسم التركي واليوناني لقبرص المقسمة، تتواصل الحوارات والذكريات، تحت عصف الرياح في شتاءات نيقوسيا -المدينة شبه المعزولة عن العالم - هذه المدينة التي سأتعرف عليها يوما اثر يوم بعد هربي إليها من شرق المتوسط، والبلاد التي نأت عني والأسرة التي جرحتني»(حيدر، ١٩٠٠م :٢٩) هنا تنتقل البوصلة إلى قبرص دون سابق إنذار حتى كان السياق الطبيعي لكلمة بيتنا يجب أن يكون عن قرية عيون الريم، لكن الملاحظ في الرواية إن المكان أصبح هامشيا نوعا ما بانصهاره بالشخصيات، فالقارئ لن يرسم بذهنه صورة واضحة للبيت الكبير في كفر حمام وكذلك لن يهيم بعيون الريم ومياهها وزّروعها وهكذا جميع الأمكنة في الرواية .

وصف الغرفة في رواية شموس الغجر

لم تذكر (راوية) غرفتها الخاصة سوى للضرورة أي لصالح مجرى الأحداث وكأن الغرفة الخاصة بها لا ترتبط معها بشيء.«يدخل غرفتي ويمسكني بيدي ويقدمني لأصدقائه»(حيدر، ١٩٠٠م :٢٦) هنا جاء ذكر الغرفة كحال ذكر البيت بشكل إخباري مجرد من خلق أبعاد للمكان مرتبطة مع الشخصية لا تتوقف (راوية) عن سرد الأحداث قليلا لتخبرنا عن هذا المكان لنشعر به ونرسم حدوده، ونستشعر جوه،إن غرفتها حالها في الرواية حال جميع الغرف التي ستذكر «نهضت من الصالون متجهة إلى غرفة نومي وانخرطت في نوبة بكاء مر» (حيدر، ١٩٠٠م :٥١).

لا تنمو الغرفة من خلال تقدم النص، بل تبقى في الظل، والغريب في الرواية أن أماكن هامشية ربطتها الصدفة بالشخصية ذكرت بشيء من التفصيل، لكن هذا لا نراه في ذكر الغرفة الخاصة .

«وأنا في سريرنا المشترك لي ولبيسان في غرفتنا الخاصة، انهمرت على التداعيات والأسئلة»(حيدر، ١٩٠٠م :ص٧٤) انتقلت خصوصية الفردية للغرفة المتمثلة بـراوية إلى الخصوصية الثنائية المتمثلةبـراوية وبيسان ولم تنحصر الخصوصية بالغرفة وحدها بل إلى الجزء الذي غالبا ما يكون

فردي الخصوصية وهو السرير إلى سرير مشترك يجمع الأختين، ولعل هذا مؤشر عن ارتباط الشخصيتين بالرواية .

«لكنني كنت شبه مشلولة غير قادرة على الحركة لكأن كابوسا قيدني إلى السرير وحولني إلى محض رائية لذلك المشهد»(حيدر، ١٩٠٠م :١٠١) بعد ذكر السرير المشترك وقبله الغرفة قبل صفحات في الرواية نراه اكتفى بكلمة السرير، لأنه يصف حالة الشخصية بأنها شبه مشلولة ومنهكة من تذكر المشاهد فاكتفى بالسرير دون الغرفة ليرسخ معاني التعب والانفعال والشلل في نفس القارئ، فالمكان غالبا في هذه الرواية تابع للأحداث، فلم يتصدر مكان ما المشهد، وكأن الراوي رأى في الورق شاشة سينمائية سيرى من خلالها القارئ المكان بشكل عام والغرفة والبيت بشكل خاص بتفاصيله وحدوده، فلا يحتاج أن يزيد على كلمة بيت أو غرفة شيء، وإن كنت اعتقد إن ما فعله الراوي كان ضروريا حسب طبيعة الرواية والأحداث والتناقضات التي فيها،والملاحظ إن (راوية) لم ترتبط روحيا بمكان محدد كحال أبيها؛ وهذا ما يفسر وصف(راوية) لبيت عائلتها في كفر حمام بمسحة من التفصيل مع أنها لم تر البيت، لكنها أحجمت عن ذلك عندما وصفت بيتها التي ترعرعت به.

«قبل ان يغادر الى كفر حمام دخل الى غرفة جدتي ليستأذنها»(حيدر، ١٩٠٠م :١٣٧) ذكرت غرفة الجدة كما ذكرت غرفة بطلة الرواية وهذا ترجمة لما أسلفنا «في غرفة نومه داخل صندوق محكم الأقفال احتفظ بالمخطوطات السرية تلك التي كان يأتي بها بشكل غامض»(حيدر، ١٩٠٠م :١٢٧) بالانتقال إلى غرفة الأب (بدر الدين) بقيت الغرفة كحالها في ما سبق.«في غرفة من ثلاثة أسرة استلقى على فراشه باكرا. باغته استيحاش ولد مهجور»(حيدر، ١٩٠٠م :٢٢)

هنا تفتقد غرفة الفندق للارتباط الحقيقي مع (راوية) بشكل لا يقارن مع غرفة الجدة في بيت عيون الريم وغرفة الأب لكن مع هذا يبقى مستوى الوصف مشابه.

المكان المجهول

يمنح الروائي أمكنة حقيقية متخيلة أسماء أماكن في واقع خارجي من خلال الواقع ويمنح أمكنة وتعيين المكان في النص يدل على الإيهام بواقعية المكان، فيصبح المتلقي من خلال الوصف المكاني مشاركا ينتقل مع البطل من مكان إلى آخر.«على جانبي الشارع، وفي الحدائق المجاورة، لاحت

أشجار السرو بإشكالها شبه الاسطوانية»(حيدر، ١٩٠٠م :١٥٢) مكان متخيل وضعه الروائي ليزيد من واقعية النص وإيهام القارئ، لم يحدد مكان الشارع ليعيش القارئ عالم تأمل بملاحظة أعانت القارئ من خلال وصف الأشجار وتسميتها. «ترحلين معهن على ظهر دلفين صغير يأخذك إلى جزائر المرجان وبلاد السمرمر والجان»(حيدر، ١٩٠٠م :١٥٢) هنا يداعب الوالد ابنته من خلال إيهامها بالذهاب إلى تلك الجزر الخيالية، بلحاظ ارتباط العالم الطفولي الذي كانت تعيش به الفتاة مع الأماكن الخيالية الأسطورية .

«في المطعم بعد حمام البحر بدا سعيدا ومرحا»الرواية:٨٦) لم يحدد المكان أو موقع المكان المقصود بل الوجهة المراد دخولها وهو (المطعم) وهو مكان حقيقي لكن مجهول الموقع والاسم.

٢- مكان زمني/ تاريخي

السقيفة

جاء وصف السقيفة مختلفا عن بقية الأماكن وكأنها أخذت مسحة من المحورية في الرواية«أتذكر الآن ليلة قديمة من لياليا الجميلة والمقمرة على سطح البيت تحت العريشة الخضراء»(حيدر، ١٩٠٠م :٥٨) هنا تم إحياء المكان من خلال ما تقدّم من جمال وقمرية الليالي واثر العريشة الخضراء في نفس القارئ. «وإذ يستفهم أخي الأكبر عن الخصام الأول المبهم؛ يفاجئنا بان الأمر حدث منذ أكثر من ألف عام: خصام سقيفة بني ساعدة في أعقاب موت الرسول محمد» (حيدر، ١٩٠٠م :٥٨،٥٩)

لم يذكر المكان التاريخي سقيفة بني ساعدة عرضا إنما كان ارتباط بين المكانين الزمنيين المختلفين؛ سقيفة بني ساعدة؛ وسقيفة عيون الريم) ولم يكتفي الراوي بالارتباط الذي تشعرنا به الأحداث بل زاد بتشبيه (راوية) لسقيفة عيون الريم بسقيفة بني ساعدة، وكيف تحولت سقيفة عيون الريم التي كانت تدور في فلك مغاير لسقيفة بني ساعدة إلى وريثة لذلك المكان التاريخي، بعد التحول الكبير الذي طرأ على (بدر الدين) «حلقات خاصة وغامضة كانت تعقد سرا في غرفة السطح. الغرفة المعزولة عن البيت والتي كان يجتمع فيها رفاقه ليلا في أزمنة مضت.. سقيفة بني ساعدة .. سميتها رمزا ومزاحا في سهرة نميمة مع إخوتي، بيسان بسذاجتها الموروثة وطيبة قلبها؛ سألتني يوما عن معنى السقيفة . قلت بأنها خيمة من سعف النخيل شيدها الرسول

محمد وصحابته وأتباعه في مكة. هناك كانوا يتداولون في شؤون الدين الجديد والدعوة الإسلامية. ساجي الأخ الأصغر سأل بفكاهة طفولية أن كانت السقيفة تشبه بساط الريح الذي يطير من مكان إلى آخر بقوة الرياح وتبدل اتجاهاتها .السؤال المستتر بوعي غامض طفولي، وهو ينوس بين الخيالي والعقلاني؛ باغتني وهو يرمى في فضاء رجراج »(حيدر، ١٩٠٠م :١٠١) المقاربة بين المكانين بدأت من الإشارة إلى العريشة الخضراء التي تغطي السقيفة، وهو ما لم نعهده في ذكر المكان في الرواية من اجل المقاربة بينها وسقيفة بني ساعدة التي يغطيها سعف النخيل، ومن ثم المقاربة في ما جرى في سقيفة بني ساعدة من اجتماع سري من اجل الخلافة وبين الحلقات الخاصة والغامضة التي تقام في سقيفة عيون الريم، ولم تقف المقاربة التي توشك على الانطباق من خلال ما ذكرته عن ماضي السقيفة قبل هذه الحلقات الغامضة مع رفاقه السابقين، و بداية السقيفة على يد الرسول(ص) للتشاور في أمور الدين وكيف انقلبت السقيفتان على الأصل وأخذتا منحى مختلفا، وقول الراوي على لسان ساجي الصغير وسؤاله إن كانت السقيفة تشبه بساط الريح الذي يطير من مكان إلى آخر بقوة الرياح وتبدل اتجاهاتها رسخت هذا الانطباق الذي يسعى اليه الراوي، وفي حيرة (راوية) عن إجابة أخيها الصغير وكلامها مع نفسها ترجح هذه المقاربة «ما كنت اعرف كيف أجيب على السؤال. وحده والدي ربما كان يدرك سر تحولات السقيفة وأطوارها ؛ وقدراتها الخفية على الطيران؛ والانتقال من طور إلى آخر ومن مكان إلى مكان»(حيدر، ١٩٠٠م :١٠٤) لتصبح سقيفة بني ساعدة رمزا للتحول وسترجع الدائرة بعد دورة زمنية إلى مكانها من خلال سقيفة عيون الريم.

النتائج

بعد رحلة مع رواية شموس الغجر للتعرف على المكان والزمان، رحلة بحثية بهدف الوصول الى نتائج رحلتنا مع المكان والزمان في الرواية، وصلنا إلى النتائج التالية:

إن للمكان ركيزة أساسية في كل نص، وذلك إن كل نص روائي يتضمن زمنين خطي، متعدد الأبعاد لا يتقيد بالتتابع الخطي للزمن، وهذا ما يؤدي إلى المفارقات الزمنية.

صنع حيدر حيدر حيزا للأحداث مبعثرا وكأن على القارئ أن يعيد ترتيب تلك الأحداث، استثمر حيدر حيدر هذه الأحداث التي تشبه الدائرة التي تتكرر ليبين للقارئ وضع العالم العربي في

نهاية القرن الماضي لتنهال مفردات تلك الحقبة مع التطرّف والانغلاق والتفكك الأسري وليعالج هذه الأحداث وأثرها المستمر مع التقدم في الزمن.

إن هذه التقديم للوقائع في المجتمع العربي الذي قدمه حيدر حيدر نراه تقديما واقعيا دون زيف من خلال كسر النمطية لكثير من الأعمال الأدبية التي تجافي الواقع وتقفز على الحقيقة .شاهدنا غلبة الاسترجاع في رواية شموس الغجر للهروب من الزمن الحاضر، كما حظيت الرواية بنصيب وافر من تقنيات تواتر السرد سواء من حيث السرعة او البطء، يعد الوصف إلية زمنية تعمل على إبطاء الزمن وإيقافه، وهذا ما يخلق فسحة زمنية تتوقف فيها الأحداث.

المكان في الرواية يصل بنا إلى فهم الإطار العام للأحداث، ففيه تتجمع مشاهد وفقرات وحوارات الرواية سواء كان ذلك حقيقة أم خيال، ذلك أن العمل الأدبي حين يفقد المكانية، فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته، نلاحظ تعدد الأمكنة في الرواي، لخدمة النص فهو عمد في بناء روايته على التنويع المكاني وترك للشخصية الحرية في أظهار مشاعر مختلفة اتجاهه.

تعد رواية شموس الغجر رواية زمنية منذ بدئها بحدث زمني صاعد، اعتمد حيدر حيدر على تقنية الثنائيات المتناقضة، التي اشتهر بها الكاتب العالمي صموئيل بكيت مثل الموضوعية والذاتية، الماضي والحاضر، التفاؤل والتشاؤم، التبسيط والتعقيد، التسامح والحقد، الصدفة والضرورة، الحب والقتل، الحياة الموت، تناقضات صوّرها الكاتب من خلال الشخصية الرئيسة في الرواية ومن خلال اثر بقية الشخصيات التي كانت مؤثرة في سير الأحداث وإن تعّرفنا عليها في أسطر قليلة.

المصادر والمراجع

- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن،(١٩٨٧) **جمهرة اللغة**، تحقيق وتقديم: رمزي منير البعلبكي، ج٢ دار العلم للملايين، ط١.
- ابن منظور، (٢٠٠٣)، **لسان العرب**، دار الحديث، القاهرة، مصر
- انيس، إبراهيم و الآخرون(لا ت) **المعجم الوسيط**، بيروت لبنان، دار الأمواج، ط١.
- باختين، ميخائيل،(١٩٨٧)، **الخطاب الروائي**، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة،ط١.
- باشلار، غاستون،(١٩٨٠)، **جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسا، دار الحرية للطباعة، بغداد.
- بن عمر، المنجي،(٢٠١٥)، **الفضاء في رواية الثورة**، الدار التونسية للكتاب.

- بحراوي، حسن، (١٩٩٠)، **بنية الشكل الروائي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١
- برنس، جيرالد،(٢٠٠٣)، **قاموس السرديات**، ترجمة السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط١.
- بو عزة، محمد،(٢٠١٠)، **تحليل النص السردي**، الدار العربية، بيروت، ط١.
- الثعالبى، ابن منصور عبد الملك محمد، (١٩٩٠) **فقه اللغة وسر العربية**، بيروت، دار الأمواج، ط١.
- جينيت، جيرار،(١٩٩٧)، **خطاب الحكاية بحث فى المنهج**، ترجمة: محمد معتصم وعبدالجليل الازدى وعمر حلي، المشروع القومي للترجمة، ط٢.
- جنداري، إبراهيم(٢٠٠١)، **الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١.
- الحاج علي، هيثم،(٢٠٠٨)، **الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي**، الانتشار العربي، بيروت، ط١.
- حيدر، حيدر، (١٩٠٠)، **رواية شموس الغجر**، دار ورد للنشر والتوزيع، سوريا.
- رشيد، أمينة،(١٩٨٥)، **علاقة الزمان بالمكان في العمل الأدبي، زمكانية باختين**، مجلة أدب ونقد، السنة الثانية، العدد ١٨، القاهرة، صص ٥٦-٤٧.
- زيتوني، لطيف،(٢٠٠٢)، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، مكتب لبنان ناشرون، بيروت، لبنان.
- الفراهيدي، الخليل بن احمد،(٢٠٠٣)، **كتاب العين**، ترتيب وتحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١.ط١.
- قاسم، سيزا،(١٩٨٤)، **بناء الرواية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، لاط.
- صالح، صلاح،(١٩٩٧)، **قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر**، سلسلة دراسات ثقافية عربية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١.
- القيسي، عالم جليل،(٢٠٠٥)، **خالد علي ياس؛ دراسة نقدية في فنه القصصي**، رسالة ماجستير، ديالى.
- القصراوي، مها حسن،(٢٠٠٤)، **الزمن في الرواية العربية**،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١.

- العاني، شجاع مسلم،(٢٠٠٠)، **البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)**، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، ط١.
- عثمان، عبد الفتاح،(١٩٨٢)، **بناء الرواية**، دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة.
- محمد، بشير بو بجرة،(٢٠٠١)، **بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري**، دار الغرب.
- مجموعة من المؤلفين،(١٩٩١)، **المعجم الوجيز**، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية.
- مرتاض، عبد الملك،(٢٠٠٥)، **في نظرية الرواية**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
- المندلاوي، عبدالرحمن الرواشدي أنس،(١٩٩٧)، **الزمن والرواية**، مراجعة إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت
- النصير، ياسين، (١٩٨٠)، **الرواية والمكان**، بغداد، وزارة الثقافة والاعلام.
- النعيمي، احمد محمد،(٢٠٠٤)، **إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط١ .
- يوسف، آمنة،(١٩٩٧)، **تقنيات السرد في النظرية والتطبيق**، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١.
- واط، ايان. (١٩٩٧م) **نشوء الرواية**، ترجمة: ثائر ديب، دار شرقيات، القاهرة.
- وجدي،محمد مزيد،(١٩٧٣)، **دائرة معارف القرن العشرين**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣.

References

- Ibn Duraid, Abu Bakr Muhammad Ibn Al-Hasan, (1987) The Language Group, edited and presented by: Ramzi Munir Al-Baalbaki, Part 2, Dar Al-Ilm Lelmalaeen.
- Ibn Manzour, (2003), Lisan Al Arab, Dar Al Hadith, Cairo, Egypt
- Anis, Ibrahim and the others (no), Al-Waseet Dictionary, Beirut, Lebanon, Dar Al-Waves, 1st Edition.
- Bakhtin, Mikhail, (1987), the narrative discourse, translated by: Muhammad Barada, Dar Al-Fikr, Cairo.
- Bashlar, Gaston, (1980), Aesthetics of Place, translated by Ghalib Helsa, Freedom House for Printing, Baghdad.
- Ben Omar, Al-Munji, (2015), The Space in the Novel of the Revolution, Tunisian Book House, ed1
- Bahrawi, Hassan, (1990), The Structure of the Narrative Form, Arab Cultural Center, Beirut, 1st Edition
- Prince, Gerald, (2003), Dictionary of Narratives, translated by Mr. Imam, Merit Publishing and Information, Cairo, Edition 1.
- Bu Azza, Muhammad, (2010), Narrative Text Analysis, The Arab House, Beirut .
- Al-Thaalabi, Ibn Mansour Abdul-Malik Muhammad, (1990) Philology and the Secret of Arabic, Beirut, Dar Al-Waves, 1st Edition.
- Jinnit, Jarar, (1997), "The Discourse of the Story, a Study of the Curriculum", translated by: Muhammad Mu`tasim, Abdul-Jalil al-Azadi and Omar Hali, The National Project for Translation, Edition 2.
- Jendari, Ibrahim (2001), The Fictional Space of Jabra Ibrahim Jabra, House of General Cultural Affairs, Baghdad, 1st Edition.
- Al-Hajj Ali, Haitham, (2008), The Qualitative Time and Problems of the Narrative Genre, The Arab Diffusion, Beirut, 1st Edition.
- Haydar, Haydar, (1900), Narration of Suns of Gypsies, Ward House for Publishing and Distribution, Syria.
- Rashid, Amina, (1985), The Relationship of Time and Place in Literary Work, Zamakaniya Bakhtin, Literature and Criticism Magazine, Second Year, Issue 18, Cairo, pp. 56-47.

- Al-Farahidi, Al-Khalil Bin Ahmed, (2003), Kitab Al-Ain, arrangement and investigation: Abd Al-Hamid Hindawi, Dar Al-Kotob Al-Alami, Beirut, Lebanon, J1.
- Qasim, Siza, (1984), Building the Novel, The Egyptian General Book Authority, Latt.
- Saleh, Salah, (1997), Issues of Fictional Place in Contemporary Literature, Series of Arab Cultural Studies, Dar Sharqiyyat for Publishing and Distribution, Cairo, 1st Edition.
- Al-Qaisi, A Majestic World, (2005), Khaled Ali Yas; A critical study of his fictional art, MA thesis, Diyala.
- Al-Qasrawi, Maha Hassan, (2004), Time in the Arabic Novel, The Arab Foundation for Studies and Publishing, ed. 1.
- Al-Ani, Shuja Muslim, (2000), Artistic Structure in the Arabic Novel in Iraq (Description and the Building of Place), House of General Cultural Affairs, Arab Horizons, Edition 1.
- Othman, Abdel-Fattah, (1982), Building the Novel, A Study in the Egyptian Novel, Youth Library, Cairo.
- Mohamed, Bashir Boujra, (2001), The Structure of Time in the Algerian Novelist Discourse, Dar Al Gharb.
- Group of authors, (1991), The Brief Lexicon, The Academy of the Arabic Language, Arab Republic of Egypt.
- Murtad, Abdel Malek, (2005), in the theory of the novel, Dar Al-Gharb for publishing and distribution, Oran, Algeria.
- Al-Mandalawi, Abd al-Rahman al-Rawashdi Anas, (1997), Time and Novel, Revision of Ihsan Abbas, 1st Edition, Dar Sader, Beirut
- Al-Naseer, Yassin, (1980), Novel and Place, Baghdad, Ministry of Culture and Information.
- Al-Nuaimi, Ahmad Muhammad, (2004), The Rhythm of Time in the Contemporary Arab Novel, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, Edition 1.
- Yusuf, Amna, (1997), Narrative techniques in theory and practice, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Syria, ed1.

- Watts, Ian (1997), The emergence of the novel, translated by Thaer Deeb, Dar Sharqiyat, Cairo, 1st Edition.
- Wajdi, Muhammad Mazyad, (1973), The Encyclopedia of the Twentieth Century, House of Knowledge, Beirut, Lebanon, 3rd Edition.

مطالعات روایت شناسی عربی
شاپا چاپی: ۷۷۴۰-۲۶۷۶ شاپا الکترونیک:۰۱۷۹-۲۷۱۷

جلوه‌های قصه‌گویی در رمان "شموس الغجر" (خورشیدهای کولی ها)؛ مطالعه موردی عنصرهای زمان-مکان

بسّام داود سلمان الزبیدی رایانامه: bassamd.alzubaidi@uokufa.edu.iq
استادیار گروه زبان وادبیات عربی، دانشگاه کوفه، عراق.

چکیده

رمان به دلیل تأثیرگذاری بر انعکاس احساسات افراد و متغیرهای حرکت جامعه و نمایندگی از آنها در بهترین شکل های تخیل، و ارائه راه حل هایی برای مشکلات واقعی زندگی، ژانر اساسی و برجسته ادبیات به شمار می آید. رمان انعکاس این مشکلات زندگی وارائه راه حل برای آنها را، به عنوان یکی از اهداف مورد نظر مرتبط با صلاح عمومی جامعه قرار داده است. این پژوهش به بررسی زمان و مکان در بین عناصر داستانی می پردازد که ارتباط محکمی با هم دارند. زمان ومکان بر هم تأثیر گذاشته و از هم تأثیر می گیرند و از آنها نمی توان بی نیاز بود. آنها ستون فقرات یک اثر داستانی هستند. در این تحقیق سعی داریم دو عنصر مکان و زمان وارتباط آنها با هم را در رمان شموس الغجر(خورشیدهای کولی)بررسی کنیم؛ لذا از شیوه ساختاری روایی در تحلیل رمان مذکور استفاده کردیم. نتایج پژوهش نشان داد که حیدر حیدر در رمان مذکور، فضایی را برای حوادث پراکنده ایجاد کرده است و خواننده باید ترتیب زمانی این حوادث را دوباره مرتب کند. حیدر حیدر از این حوادث که شبیه دایره ای در دوران است، بهره می برد تا وضع جهان عرب را در پایان قرن گذشته بیان کند.وی حالت واژگان آن دوره را به شکلی افراطی، بسته و پراکنده نشان می دهد تا به این حوادث و اثر مداوم آنها با پیشرفت زمان بپردازد. ارائه وقایع در جامعه عرب از سوی نویسنده، یک نوع ارائه واقعی به دور از هر جعل و تغییر رویدادهاست. این امر از طریق در هم شکستن روش معمول بسیاری از آثار ادبی ضدواقعی و فرا واقعی هستند، انجام می شود. در این رمان، ما شاهد غلبه کاربرد تکنیک فلش بک برای فرار از زمان کنونی هستیم. همچنین این رمان، بهره زیادی از تکنیک های فرکانس روایت و کند و تند کردن روایت می برد. در این رمان، توصیف یکی از ابزارهای زمانی است که باعث کندی زمان و توقف آن می شود. این مسأله باعث ایجاد یک فرجه زمانی می شود که حوادث در آن متوقف می شوند. مکان در این رمان ما را به فهم چارچوب حوادث می رساند. در مکان، صحنه ها و بخش ها و دیالوگ های رمان جمع می شوند چه این موارد حقیقی باشند و چه مجازی. یک اثر روایی هنگامی که عنصر مکان خود را از دست دهد، ویژگی و در نتیجه اصالت خود را از دست می دهد. همچنین ما شاهد تنوع مکان ها در رمان شموس الغجر(خورشیدهای کولی ها) بودیم و به این نتیجه رسیدیم که نویسنده در خلق رمانش از تنوع مکانی برای غنای متن روایی خود بهره برده است. وی شخصیت ها برای بیان احساسات مختلفشان با گرایش های متفاوت، آزاد گذاشته است. این رمان یک رمان زمانی از زمان آغاز بیان حوادث زمانی رو به رشد،به شمار می رود. حیدر حیدر بر تکنیک بهره گیری از دوگانه های متناقض در رمان خود تکیه کرده است که ساموئل بکت، نویسنده مشهور جهانی به آن شهره بود. نویسنده تناقضاتی مانند عینیت و ذهنیت، گذشته وحال، خوش بینی و بدبینی، ساده سازی وپیچیده سازی، گذشت وکینه، اتفاقی و ضروری، عشق و قتل، زندگی ومرگ وغیره را به تصویر کشیده است.

کلید واژه‌ها: زمان، مکان، زمکان، قصه گویی، رمان شموس الغجر(خورشیدهای کولی‌ها)، روایت شناسی عربی.

استناد: الزبیدی، بسّام. بهار و تابستان (۱۳۹۹). جلوه‌های قصه‌گویی در رمان "شموس الغجر" (خورشیدهای کولی‌ها)؛ مطالعه موردی عنصرهای زمان-مکان (به زبان عربی). مطالعات روایت شناسی عربی، ۱(۲)، ۲۱۹-۱۹۱.

مطالعات روایت شناسی عربی، بهار و تابستان ۱۳۹۹، دوره۱، شماره۲، صص. ۲۱۹-۱۹۱.

دریافت: ۱۳۹۹/۴/۱۶ پذیرش: ۱۳۹۹/۶/۱۶

© دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه خوارزمی و انجمن ایرانی زبان و ادبیات عربی